

ANALYSE ET COMMENTAIRE DE TEXTES OU DOCUMENTS EN ARABE

Durée : 6 heures

Analysez et commentez, **en arabe**, le document suivant:

وقف أمام البيت ، وتناول مطرقته ، وتركها تسقط ، فاحتلطت دقتها بدقات قلبه . سمع صوتاً رقيقاً
ينادي بلهجة نساء القاهرة :

– مين¹ ؟

– أنا إسماعيل ! [...]

كادت أمه يغمى عليها ، وانعقد لسانها وهي تضمه وتقبل وجهه ويديه ، تشهق وتبكي . يا الله ! كم
شاخت وتهدلت وضعف صوتها وبصرها ! إن الغائب في وهم ، يتوقع أن يعود لأحبابه فيجدهم كما تركهم
منذ سنوات . [...]

وجاءه أبوه تفيض عليه ابتسامة هادئة . اشتعل شبيهه وإن لم تنحن قامته ، في عينيه نظرة مشوبة من
إعياء وصبر ، من راحة ضمير وشعور بالحمل الثقيل . سيعلم إسماعيل فيما بعد أن الأزمة كوّته بناها
فانتكست أموره ، ومع ذلك لم يتأخر في يوم ما عن موعد إيداع النقود بالبنك لابنه . لم يذكر لإسماعيل ما
يعانيه [ولم يدعُه] إلى الاقتصاد أو يستعجله للعودة . يلهو إسماعيل في إسكتلندة مع رفيقته ، يأكل البفتيك² ،
وأبوه قعيد داره ، عشاؤه طعمية أو فجل .

لإسماعيل نظرة من طرف عينيه تطوف في الدار ، فإذا هي أضيّق وأشدّ ظلمة مما كان يذكر . أما يزال
ضوءهم من مصباح البترول ؟ قطع الأثاث بالية متناثرة تبدو – رغم مر السنين وطول الصحبة – كأنها
مهاجرة في دار غربة ، ولماذا هم على البلاط ؟ وأين البساط ؟ [...]

ولكن أين فاطمة النبوية ؟ أقبلت ، فإذا أمامه فتاة في شرح الصبا . ضفیرتاها ، وأساورها الزجاجية
الرخيصة ، وحركاتها ، وكل ما فيها وما عليها ، يصرخ بأنها قروية من أعماق الريف . هل هذه هي الفتاة
التي سيتزوجها ؟ علم منذ اللحظة أنه سيخون وعده وينكث عهده ، وما لها معصوبة العينين ؟ فهي ترفع ذقنها
لتستطيع أن ترى وجهه . لم يدعها الرمد منذ سافر وساء حالها يوماً بعد يوم .

وأعد العشاء وجلسوا ، ولعلمهم جلسوا من أحله حول مائدة لهم من الخشب الأبيض ، لم يأكل عليها
أحد . لم يأكلوا هم من حدة الفرح ، ولم يأكل هو من صدمة اليقظة . اعترف لي إسماعيل فيما بعد بأنه –

¹ مين : من .

² البفتيك : من كلمة bifteck .

حتى في اللحظة التي كان يجب أن تشغله سعادة العودة إلى أحضان والديه عن القياس والمقارنة والنقد - لم يملك نفسه عن التساؤل ! كيف يستطيع أن يعيش بينهم؟! وكيف يجد راحته في هذه الدار؟!!

وأعد الفراش . وأبى الشيخ رجب³ إلا الانصراف إلى غرفته ليترك ابنه يستريح من عناء السفر . وهذه أمه تجذب نفسها جذباً وهم بتركه ، ولكنها تشير إلى فاطمة وتقول :
- تعالي يا فاطمة ، قبل أن تنامي ، أقطر لك في عينيك .

ورأى إسماعيل أمه وفي يدها زجاجة صغيرة ، وترقد فاطمة على الأرض وتضع رأسها على ركة الأم ، فتسكب من الزجاجة في عينيها سائلاً تتأوه منه فاطمة وتتألم .
سألها إسماعيل :

- ما هذا يا أمي ؟

- هذا زيت قنديل أم هاشم⁴ ، تعودت أن أقطر لها منه كل مساء . [...]
ففر إسماعيل من مكانه كالمسوع . أليس من العجيب أنه - وهو طبيب عيون - يشاهد في أول ليلة من عودته ، بأية وسيلة تداوى بعض العيون الرمداء في وطنه ؟

تقدم إسماعيل إلى فاطمة فأوقفها ، وحلّ رباطها ، وفحص عينيها ، فوجد رمداً قد أتلّف الجفنين وأضر بالمقلة ، فلو وجد العلاج المهدئ المسكن لتماثلت للشفاء ، ولكنها تسوء بالزيت الحار الكاوي .
فصرخ في أمه بصوت يكاد يمزق حلقة :

- حرام عليك الأذية . حرام عليك . أنت مؤمنة متصلين ، فكيف تقبلين أمثال هذه الخرافات والأوهام ؟

وصممت أمه وانعقد لسانها ، تحاول أن تتمتم ولا تبين .
ورأى إسماعيل شبح أبيه على الباب ، في جلباب أبيض قصير وعلى رأسه طاقية تحتها وجه مربد .
[...] ماذا حدث ؟

ونظقت أمه أخيراً تستعيد بالله وتقول له :
- اسم الله عليك يا إسماعيل يا ابني . ربنا يكملك بعقلك هذا غير الدواء والأجزاء⁵ . هذا ليس إلا من بركة أم هاشم .

وإسماعيل كثور هائج لوحته له بغلالة حمراء .

3 الشيخ رجب : أبو إسماعيل.

4 أم هاشم هي زينت ابنة فاطمة وعلي وحفيدة النبي عُرفت بشجاعته وبدفاعها عن أخويها الحسن والحسين في بلاط معاوية . لها على الأقل مقامان واحد في القاهرة والآخر في دمشق . وهي محط تقديس وتكريم المؤمنين من كافة الدول الإسلامية وقد نشأت حولها الكثير من المعتقدات والعبادات والطقوس الدينية والشعبية .

5 الأجزاء : الدواء (باللهجة المصرية).

- أهى دي أم هاشم بتاعتكم هي اللي حتجيب للبنت العمى⁶ ، سترون كيف أداويها فتنال على يديّ أنا الشفاء الذي لم تجده عند الست أم هاشم .

- يا ابني ده ناس كثير بيتباركوا بزيت قنديل أم العواجز جربوه وربنا شفاهم عليه . إحنا طول عمرنا جاعلين تكالنا على الله وعلى أم هاشم⁷ . [...]

- أنا لا أعرف أم هاشم ولا أم عفريت .

هبط على الدار صمت مقبض . في هذا البيت تعيش قراءة القرآن والأوراد ، وصدى الأذان . كأنها جميعاً استيقظت وانتبهت ، ثم أطرقت وانطفأت ، وحل محلها ظلام ورهبة . لا عيش لها مع هذه الروح الغريبة التي جاءت لهم من وراء البحار .

وسمع صوت أبيه كأنما يصل إليه من مكان سحيق :

- ماذا تقول؟! هل هذا كل ما تعلمته في بلاد بره⁸ ؟ كل ما كسبناه منك أن تعود إلينا كافرًا ؟

كل ما فعله إسماعيل بعد ذلك يدل على أن المرض العصبي القديم قد عاوده فجأة ، وانفجر بشدة من جديد . فقد وعيه وشعر بحلقه يجف ، وبصدره يشتعل ، وبرأسه يموج في عالم غير هذا العالم ؛ شب على قدميه واقفًا . لا شك أن في نظرتة ما يخيف ، فقد تضاءلت الأم أمامه ، وابتعد الأب عن طريقه . هجم إسماعيل على أمه يحاول أن ينتزع منها الزجاجاة ، فتشبثت بها لحظة ثم تركتها له . فأخذها من يدها بشدة وعنق ، وبجركة سريعة طوح بها من النافذة .

وكان صوت تحطمها في الطريق كدوي القنبلة الأولى في المعركة .

يجي حقي ، قنديل أم هاشم

6 « إن صاحبكتم أم هاشم هي التي ستجلب العمى للبنت ؟ » (باللهجة المصرية).

7 « يا ابني ، هناك أناس كثيرين يتباركون بزيت قنديل أم هاشم ، جربوه وربنا شفاهم به . نحن طول عمرنا جاعلون أتكالنا على الله وعلى أم هاشم » (باللهجة المصرية).

8 في بلاد بره : في الخارج (باللهجة المصرية).